الفلسفة والتنظير فى علم المعلومات والمكتبات(*)

عرض وتحليل
منى محمود محمد عبد الهادى
معيدة بقسم المكتبات والوثائق والمعلومات
كلية الآداب – جامعة القاهرة

يهتم علم المعلومات والمكتبات فى المقام الأول بالمعلومة التى هى العمود الفقرى لكافة علوم المعرفة البشرية، والسبب الأساسى والجوهرى فى إنشاء وتكوين الروابط والعلاقات الموضوعية فيما بينها، ومن هذا المنطق ارتبط علم المعلومات والمكتبات بمجموعة من العلوم الأخرى مثل: علم الاجتماع والتربية والإدارة والفلسفة.. ولعل هذا الأخير هو محور الحديث للعمل العلمى البارز موضوع العرض، وذلك فى إطار تناول النظريات والقوانين والأسس والأفكار التى تحكم نشاط علم المعلومات والمكتبات وتشرح حقائقه، وهى النظريات التى يطلق عليها «النظريات الرابطة» كما سيتضح لنا فى الأسطر القليلة القادمة.

ويتناول عرضنا اليوم واحداً من أهم الأعمال ذات البصمة الواضحة فى مجال المكتبات والمعلومات، والذى جاء تحت مسمى: «الفلسفة والتنظير فى علم المعلومات والمكتبات» لمؤلفه الأستاذ الدكتور/ أحمد بدر.. أحد أعلام تخصص المكتبات والمعلومات الذين ساهموا بخبرتهم وأفكارهم التنويرية ومؤلفاتهم العلمية الجليلة على مدى سنوات طوال فى تطور وإثراء هذا التخصص والتى ندعو لها بالبقاء والاستمرارية فى ظل أصحابها وروادها.

وجاء هذا العمل مقسما إلى عشرة فصول بدأها الكاتب بمقدمة منهجية يشرح فيها أهمية العمل بشكل عام باعتباره أول كتاب يصدر باللغة العربية يتناول موضوع الفلسفة والتنظير فى علم المعلومات والمكتبات، وكان ذلك استجابة منه لرغبة زملائه فى التخصص إلى جانب حاجة المهنة إليه، ثم يوضح مفهوم «الفلسفة» والتى هى من وجهة نظره تعنى: البحث عن الحقيقة ومتابعتها ووضع المبادئ والأسس اللازمة لتسيير العمل وإنشاء النظريات التى تشرح حقائق علم المعلومات والمكتبات، متنقلا إلى إظهار العلاقة القائمة بينه

(*) بدر، أحمد. الفلسفة والتنظير فى علم المعلومات والمكتبات.– القاهرة: دار غريب، 2002 .- 335 ص .– تدمك 977-215-649-0

وبين علم الفلسفة، وأخيرا محتوى كل فصل بشكل شامل ومختصر، وتلى المقدمة قائمة المحتويات مباشرة مقسمة حسب الفصول، ثم المحتوى العلمى متمثلا فى الفصول العشرة والتى بدأت جميعها بمقدمة قصيرة تلقى الضوء على محتويات كل فصل، هذا وينتهى كل فصل بقائمة من المراجع المستعان بها فى جمع مادته العلمية.

وفيما يلى نستعرض سويا محتوى فصول هذا الكتاب..

الفصل الأول:

وعنوانه (**الفلسفة والتنظير وأثرهما فى تطور علم المعلومات والمكتبات المعاصر**).

ويبدأ بنبذة تاريخية عن فلسفة المكتبات والمعلومات ونظرياتهما، إذ تعد الفلسفة مصدرا مناسبا للفروض الجديدة التى هى بدايات النظريات ثم التعميمات التى يمكن أن تحكم نشاط العلم أو المهنة، ومن هنا بدأت دعوة بعض الباحثين إلى وضع الأساس النظرى للمكتبات والمعلومات، ثم ينتقل إلى الفئات الأساسية والفرعية والقريبة لعلم المعلومات، حيث تبرز الاختلافات بين الباحثين حول هذه الفئات، فلقد ورد فى كتاب «ديبونز» الذى عرّبه كلا من أحمد بدر ومحمد فتحى عبد الهادى أن هناك أربعة مجالات أساسية ألاوهى: (الفلسفة/ الرياضيات والإحصاء/ اللغويات/ علم السلوك)، أما الفرعية فتتناول التخصصات الداخلية للمجال مثل: (الاتصال العلمى/ تاريخ المكتبات/ دراسات المستفيدين) وغيرها، وعن التخصصات القريبة لعلم المعلومات فيرى البعض أنها تشمل مثلا: (علم الحاسب الآلى/ نظرية المعرفة.. وغيرها من العلوم)، ثم يوضح تأثير تكنولوجيا المعلومات على النظرية، على أساس أن علم المعلومات يعمل على تيسير الاتصال الفعال للمعلومات المطلوبة بين الإنسان المنتج لها والمستفيد المستهلك لها، ثم يبحث الافتراضات الفلسفية الأساسية لعلم المكتبات والمعلومات وتطبيقاتها، وأخيرا الاتجاهات المعرفية الفلسفية المعاصرة التى تقف وراء التنظير فى علم المعلومات كالأمبيريقية والعقلانية والتاريخية، وذلك على اعتبار أن النظرية فى علم المعلومات هى: شرح نظرى لكفاءة نظم المعلومات وسلوك المستفيدين ولوظيفة عناصر البحث المختلفة ومن أمثلتها: (الواصفات، الاستشهادات، العناوين... إلخ)، وقد شهدت التسعينيات دورا بارزا للقضايا الفلسفية حيث اعتبر البعض أن علم المعلومات نوعا من نظرية المعرفة التطبيقية، والافتراضات الفلسفية تقع وراء نشاط اختصاصى المعلومات وبصفة خاصة فى تصنيف الوثائق والتحليل الموضوعى والاسترجاع فى خلفية سلوك منتجى المعلومات والمستفيدين منها.

الفصل الثانى:

وعنوانه (**الأطر التاريخية والاجتماعية والطبيعية والمعرفية لعلم المعلومات كعلم متعدد الارتباطات الموضوعية والنظرية**)

ويتناول حلقات الأطر المتعاقبة فى علم المعلومات من الأطر التاريخية الاجتماعية حيث تعتبر المكتبة مؤسسة اجتماعية ضرورية فى تاريخ التطور الحضارى، ثم الأطر الطبيعية الفيزيائية حيث ركز علماء استرجاع المعلومات فى منتصف القرن العشرين على الأساس العلمى الذى تدعمه تجارب «كرانفيلد»، ثم إلى الأطر المعرفية حيث المنظور

الكلى اللازم لتكامل المعرفة الأمبيريقية من مختلف التخصصات الفرعية فى إطار فكرى موحد، أى أن المساهمين فى تطور علم المعلومات والمكتبات ونشاطاته وخدماته انطلقوا من هذه الأطر والثقافات الإنسانية المختلفة، فلقد وُلد علم المعلومات بمؤسساته الرسمية فى الستينيات وكان المؤسسون له هم علماء العلوم الطبيعية من أمثال: (بوش وبرايس وواينير وغيرهم)، وكان الإطار النظرى الطبيعى هو السائد إلى أن حل محله الإطار الاجتماعى التاريخى الإنسانى ثم أصبح الإطار الفلسفى هو المعبر عن هذا التكامل فى نهاية القرن العشرين، وكل ذلك بهدف إبراز علم المعلومات والمكتبات كعلم رابط وضابط للتخصصات الثلاثة الطبيعية والتاريخية والإنسانية ودوره الفعال فى مجال التصنيف وتنظيم المعرفة ومجال الدراسات الببليومترية ومدى تفاعل علم المعلومات والمكتبات مع العلوم الأخرى والتأثير المتبادل فيما بينها بما يخدم فى النهاية النظرة العالمية لمستقبل البحوث فى علم المعلومات.

الفصل الثالث:

وعنوانه (**الركائز الأبستمولوجية فى علم المعلومات والمكتبات**)

ويتناول مفهوم «الأبستمولوجيا» أو كما يطلق عليه أيضا «نظرية المعرفة» وهى فرع من فروع الفلسفة يهتم بالمعالجة العامة للمعرفة الإنسانية من حيث طبيعتها وأصولها ونطاقها وحدودها وكيفية الحصول عليها، وبعض الركائز الأبستمولوجية التي تشير إلي أساسيات الحصول على المعرفة الإنسانية مثل: العقلانية التى يكون فيها العقل هو مصدر المعرفة، والأمبيريقية التى يكون فيها العقل هومصدر المعرفة، والأمبيريقية التى تكون فيها التجربة والملاحظة هى مصدر المعرفة ويذهب الكاتب إلى أن كلاهما يشكلان الأرضية الأساسية للركائز الأبستمولوجية، ثم ينتقل إلي علاقتها الغامضة بعلم المعلومات والمكتبات، وصعوبات التعرف عليها فى هذا العلم ومن بينها: الخلط بين دراسة المحتوى المعرفى فى عقول المستفيدين والأمناء كأفراد وبين نمو التخصصات الموضوعية العامة للمكتبة، ثم يذهب إلي المحاورات الدائرة فى هذا الشأن ولاسيما ذلك الصراع بين الإيجابية (العلم)، والهيرمانتيكية (الإنسانيات) وتكاملها كمنهج لدراسة علم المعلومات والمكتبات فيما يسمى بـ «المنظور الكلى للركائز الأبستمولوجية»، حيث التكامل بين مختلف الاتجاهات العلمية والإنسانية لتطور وتوحيد جوانب علم المعلومات والمكتبات.

الفصل الرابع:

وعنوانه (**الأنطولوجيات وعلاقتها بعلم المعلومات والمكتبات**)

ويتناول مفهوم «الأنطولوجيا» حيث يعتبر مصطلحا فلسفيا فى الأساس، وقد تم تطويعه فى مجال هندسة المعرفة وعلم المعلومات ليعبر عن قاعدة بيانات للتفاهم المشترك والتغلب على حواجز الاتصال بين الناس والمؤسسات ونظم البرامج والوصول إلى إطار موحد للاتصال والتشغيل وكوسيط لغوى، ثم يعرض تصورا لمنهجية بناء الأنطولوجيات وبعض استخداماتها فى دمج قواعد البيانات وتوحيد البرامج على سبيل المثال، مع إعطاء نماذج من الأنطولوجيات المتكاملة وتطبيقاتها مثل:

(مشروع سي واي سي "cyc" الخاص بتكنولوجيا الحاسبات والالكترونيات)، ومدى إفادة الأنطولوجيات الحديثة من إنتاجية علماء المعلومات والمكتبات خاصة أن المهندسون الأنطولوجيون لا يرجعون عادة إلى عمل علماء المعلومات والمكتبات من الرصيد الثرى الضخم لإنتاجهم الفكرى الذى يمكن أن يفيدهم بالقدر الكافى، وينتهى الكاتب إلى بعض النتائج التى دارت حول أهمية الأنطولوجيات كإطار موحد له أدواره المختلفة، والتوجهات المستقبلية بهدف التطوير للأفضل.

الفصل الخامس:

وعنوانه (**بناء النظرية فى علم المعلومات والمكتبات**)

ويتناول مفهوم «النظرية» حيث يعرفها بأنها شرح عام لبعض الظواهر المختارة والمحددة أوكطريقة لتنظيم معرفتنا بمجال معين، مشيرا إلى طبيعتها وأهميتها فى البحث العلمى كأداة أساسية وفعالة فى تقدم العلم وتوجيه البحث بشكل عام، مرورا بأنواع النظريات ومنها مثلا: النظريات التشخيصية، ثم يقدم تقسيما مقترحا للنظريات متمثلا فى عناصر عدة منها: النظرية العلمية، والظواهر، والرموز.. وغيرها، مع إعطاء بعض المصطلحات المرتبطة بعلم المعلومات مثل: التوثيق/استرجاع المعلومات/الانفورمتريكس.. وغيرها، حيث يؤمن الكاتب بأن التفكير فى مصطلحات مجال معين معناه التفكير فى مجاله النظرى، ثم ينتقل إلى الدراسة النظرية الرابطة أو المشتركة للتخصص موضحا بعض المفاهيم المقارنة مثل: علم المعلومات وعلم الحاسب وخدمات المعلومات.. وغيرها، وخطوات توليد النظرية فى مجال المكتبات والمعلومات ونماذج من تطبيقات النظرية على المجال، مختتما فصله بتوصيات العديد من الباحثين بشأن احتياجات البحوث المستقبلية فى بناء وتطوير النظرية فى المجال.

الفصل السادس:

وعنوانه (**نظرية المعلومات لشانون وويفر وارتباطاتها بعلم المعلومات والمكتبات**)

ويتناول النظريات النوعية والعامة لعلم المعلومات والمكتبات، ويبدأه الكاتب بتحديد مفهوم «النظرية النوعية» التى هى تتعامل مع مستوى معين من أنشطة علم المعلومات والمكتبات، وتتناول مجالا عريضا كالتصنيف أو التكشيف أو يتناول جزئية صغيرة من عمليات التجميع أو التحليل أو الضبط أو الاختزان أو الاسترجاع أو البث أو غيرها من عمليات علم المعلومات والمكتبات، منتقلاً إلى مفهوم «النظرية العامة» وهى تلك النظرية التى تتوجه للدراسة الكلية لعلم المعلومات والمكتبات، ثم نظريات التحليل الموضوعى والببليومترى وجذور تطور النظرية فى علم المعلومات، حيث يرى الكاتب أن جذور علم المعلومات تعود فى التاريخ القديم إلى الممارسات والنظريات عن تنظيم وتصنيف المعرفة لدى اليونان وفهارس مكتبة الاسكندرية القديمة.. وغيرها،، وأن التحليل الموضوعى والمنهج الببليومترى هما الأساس فى تشكيل النظرية فى علم المعلومات، ثم يتناول التعريف بوجهة نظر شانون وويفر فى نظرية علم المعلومات فى إطار مفهومها الضيق الخاص بالقياس الكمى والنوعى للمعلومات مؤكدا على علاقة علم المعلومات بهذه النظرية من خلال

اختيار وعرض بعض المواد ذات العلاقة من قائمة بيليوجرافية تضم أكثر من ٤٠٠ مدخل.

الفصل السابع:

وعنوانه (**نظرية مجتمع المعلومات وتفاعلاتها مع النظريات الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة**)

ويتناول مفهوم «المعلومات» على أنها تلك التى تغير من الحالة المعرفية للإنسان ولكننا لا نستطيع الاستدلال على كنهها وتحديد تعريف لها، ثم تعريف «مجتمع المعلومات» بأنها ذلك المجتمع الذى يقوم على المعلومات وشبكات الاتصال والحاسب الآلى فى بنائه وتطوره، ثم مفهوم «نظرية مجتمع المعلومات» الذى يركز على زيادة العمل المعلوماتى فى المجتمع وزيادة التدفق المعلوماتى والاتجاهات المتزايدة نحو العولمة.. وغيرها، مشيرا إلى المعنى الذى وضعه (دانيال بيل) لهذه النظرية حيث يراها تقوم على ثلاثة اتجاهات هى القوى العاملة فى المجتمع المعلوماتى، وتدفق المعلومات، والحاسبات وثورة المعلومات، وتأثيراتها على دراسات الاتصال والإعلام والإدارة والسياسة والاجتماع والاقتصاد، ولاسيما الأخيرة التى أفرد لها الكاتب صفحات خاصة نظرا لتداخل العلاقات الاقتصادية مع مجتمع المعلومات، وأخيرا «مجتمع المعلومات» كإطار فكرى بين التخصصات الاجتماعية والعلمية وكدراسة ببليومترية، ومدى انخفاض تكرار هذا المصطلح فى استشهادات الدوريات المتخصصة.

الفصل الثامن:

وعنوانه (**نظرية التجهيز الإنسانى للمعلومات بين الذكرة الداخلية والذاكرة الخارجية**)

ويتناول كيفية استخدام علماء المعلومات للنظريات ضمن المدخل المعاصر لتعدد الارتباطات الموضوعية لهذا العلم مثل: نظرية النظم/ نظرية الاتصال/ ونظرية التصنيف.. وغيرها، ومفهوم «مؤسسات الذاكرة» وعلاقتها بالأبستمولوجيا والسيمية (التى تعرف على أنها دراسة العلامات)، ونظريات التجهيز الإنسانى للمعلومات وعناصرها الأربعة (الحاسب والذاكرة قصيرة المدى وطويلة المدى والنظم العقلية)، والتى تبين أنها تدخل ضمن مجالات عديدة فى علم النفس ولاسيما علم النفس التجريبى والمعرفى وأيضا ضمن بحوث محاكاة عمليات الحاسب والذكاء الاصطناعى وهندسة الاتصال .. وغيرها، التى أثبتت البحوث الحديثة أنها تسهم فى نمو علم المعلومات، ثم تتبع الكاتب فكرة الذاكرة الخارجية عند كل من بوش ورانجاناثان وتنظيماتها وتداخلاتها الحالية فى أدوات الربط من أجل استرجاع أفضل للمعلومات، وإسهامات بعض العلماء الأجانب أمثال «فوكست وفيكرى» فى سبيل الوصل بين الذاكرتين، وأخيرا يؤكد الكاتب على أن ما عرضه هو اجتهادات لعلماء أفاضل استمرت بحوثهم لعشرات السنين ولكنها لم تقترب من المعجزة الإلهية لعقل الإنسان.

الفصل التاسع:

وعنوانه (**ثقافتان أم ثقافات متعددة؟ دراسة فى تفاعلات تخصص المعلومات والمكتبات**)

ويتناول مفهوم «الثقافة» وتغير هذا المفهوم مع تعاقب العصور وتغير سماتها، فعلى سبيل المثال: تمثل الثقافة فى القرن العشرين ثورة الاتصال المعاصرة حيث انفتحت على كل ما أنتجته

الإنسانية من فكر وعلم وأدب وفن، وبلغت قمة هذا التطور فى القرن الواحد والعشرين لأنها أصبحت تمثل ثقافة الذكاء الاصطناعى وأدواته الرئيسية الحاسبات والاتصالات عن بعد، هذا وانتقل الكاتب إلى توضيح الاختلاف بين الثقافة والحضارة على أساس أن الحضارة أوسع نطاقا وشمولية مؤكدا على أن كليهما يؤثر فى تكوين الرأى العام، ثم مفهوم «الثقافتين» ويقصد بهما: الثقافة العلمية التكنولوجية، والاجتماعية الإنسانية وتفاعلاتها مع التخصص، والدور الإيجابى الذى يلعبه هذا التخصص فى تلاحم الثقافات المختلفة عبر التاريخ، ثم يعطينا ملخصاً لمحاضرة ألقاها «سنو» عن استخدام الثقافة على أنها الحركة الفكرية المؤدية إلى تنمية العقل، والمحاورات التى دارت حولها ومحاولات التوفيق بينها، وبعض الصعوبات التى تقف دون توصيل العلم إلى الرجل العادى مثل زيادة التخصص العلمى وما يفرضه على العلماء من الانشغال الدائم عن مخاطبة بعضهم البعض ومن ثم عن مخاطبة الشخص العادى، متنقلا إلى الاهتمام الزائد بالثقافة التكنولوجية فى الوقت الحاضر ودورها فى مجال البحث العلمى، وأخيرا يعطينا الكاتب نماذج عربية وأجنبية من توافق الثقافتين أو الثقافات المتعددة عبر التاريخ.

الفصل العاشر:

وعنوانه (**نحو نظرية عامة للمعلومات .. من النظريات المتفرقة إلى محاولات الوصول إلى نظرية عامة متكاملة**)

ويتناول نبذة عن الحوار الدائر بين الاتجاه نحو نظريات متعددة لجوانب مختلفة لعلم المعلومات والمكتبات وبين الوصول إلى نظرية موحدة عامة للمجال، على اعتبار أن المعلومات خاصية أساسية للكون مثلها فى ذلك مثل الطاقة والمادة، وأشار الكاتب إلى مكونات النظرية العامة للمعلومات وديناميكية نظم التفكير الإنسانى مع استعراض نظرية لمعالجة المعلومات على يد الباحث «باغ» من منطلق أن نظم معالجة المعلومات الإنسانية هى نظم طبيعية، والكيانات الإنسانية الأربعة لهذه النظم هى البيانات والمعلومات والحكمة والمعرفة، ثم تناول العقل الإنسانى وكيف يمكن لهذا العضو البيولوجى أن يكون عضوا للفكر، ومنظور معالجة المعلومات من قبل الإنسان، إلى جانب بعض النتائج الأولية التى أفادت بعدم وصول النظرية العامة للمعلومات إلى مرحلة الاكتمال أو التكامل وإن كانت المحاولات قد زودتنا بأساس يشرح لنا الديناميات الظاهرة لنظم التفكير الإنسانى كنظم مفتوحة ذكية تتفاعل مع البيئة المحيطة، وأخيرا التعرف على الجوانب الأخرى لعلم المعلومات الصالحة لاستكمال هذه النظرية مثل قياس المعلومات أو إدارتها .. وغيرها.

وفى النهاية يختتم الكاتب عمله بعرض أجنبى موجز أو ما يمكن أن نسميه نظرة سريعة للنقاط الرئيسية التى تناولها الكتاب ولكن باللغة الإنجليزية ويعقب هذا العرض القصير قائمة بالمراجع الأجنبية التى استعان بها فى كتابه العمل ككل.

كان ما سبق هو عرض سريع لما تضمنته صفحات هذا العمل العلمى الجليل الذى لاشك أنه قد أضاف رصيداً جديداً ومفيداً إلى ساحة علوم المعرفة البشرية بوجه عام وإلى علم المكتبات

والمعلومات على وجه الخصوص، وهى الأمنية التى حرص مؤلف الكتاب على الإعلان عنها صراحة فى مقدمة عمله لتكون خير زاد لكل أبناء وأحفاد هذا التخصص من أساتذته وطلابه فى أبحاثهم ودراساتهم العلمية، وفى ختام هذا العرض يبقى لنا الإشادة بهذا العمل المتميز فى موضوعه ودوره الهام فى إرساء قواعد التخصص، والبحث عن أوجه ارتباطه بأشقائه من علوم المعرفة البشرية الأخرى حتى يظل على نهجه الثابت المتميز والمتطور فى أداء رسالته العلمية.

ومن الجدير بالذكر أن جاء أسلوب الكاتب متّسماً بالتعمق والخصوصية، هذا وتميّز كتابه بحسن الإخراج فيما يتعلق بالشكل المادى لتصميم الغلاف وأوراق العمل، أما عن فصوله العشرة فكانت متوازنة إلى حد كبير فى حجمها وكثافتها العلمية، كما جاءت مادته العلمية خالية من الأخطاء الطباعية ومن ثم كانت واضحة وسهلة القراءة ومصحوبة بالإيضاحيات من جداول ورسومات بيانية كلما دعت الحاجة إليها.

obeikandl.com